التخطيط الاجتماعي
في مجال رعاية الاطفال والشباب

بحث في اسس التنشئة الاجتماعية
وامكانية الاستفادة من طاقات الاطفال
والشباب في عملية التغيير الاجتماعي

الدكتور محمد صفوح الاخرس

لقد أصبح موضوع تربية الجيل علما مستقلا قائما بذاته ، وهو يهدف الى تهذيب سلوك الانسان وتوجيهه وجهة خيرة . فهو اذن وسيلة موجهة تعتمد على اسس علمية من اجل خلق اتزان في سلوك الفرد بما يتفق وقيم المجتمع واهدافه التي يطمح اليها . ومن هنا كان اثر التربيةالاجتماعية لا يقتصر على الطفل وحده بل يمتد الى المجتمع عامة .

فالتربية الاجتماعية من هذه الوجهة لاتنفصم عن التربيتين السياسية والثقافيةفي المجتمع ممثلا بمؤسساته السياسية والثقافية . أن نشاطالفرد الاجتماعي والسياسي في المجتمعات الناميةوالتي من احد خصالها تعدد الولاءات الاجتماعية ، يتأثر الى حد ما باسلوب التنشئة الاجتماعية ضمن اطار العائلة . ولكن عندما يتبلور الولاء الاجتماعي ، في مراحل متقدمة من التطور ، حول مؤسسات اكثر فاعلية في بناء المجتمع الحديث، تصبح قضية التنشئة الاجتماعية في المنزل اقل اهمية ، علما بانها لن تفقد اثرها ما دامت العائلة موجودة وتقوم بوظائفها ضمن اطار المجتمع ومؤسساته المختلفة .

وفي الوطن العربي لازالت العائلة تلعب دورا بارزا في عملية التنشئة الاجتماعية ، ولذلك فان البحث في اسس التربية في المنزل ومنعكساتها على صعيد المجتمع يعتبر مسألة هامة يجب ان توجه اليها الانظار .

اسس التنشئة الاجتماعية :

من المتعارف عليه في الدراساتالاجتماعية ان احدى الوظائف الاساسية للتربية هي تسهيل عملية التكيف الاجتماعي مع البيئة ، ويتم ذلك عن طريق تلقين الفرد مبادىء وقواعد عامة تتوارثها الأجيال عبر تاريخها الطويل . فالانسان ابن البيئة الاجتماعية ، وهو اكثر المخلوقات الحية اعتمادا على غيره في مراحل نموه الاولى . اذ انه يعتمد طوال سنوات عديدة من نموه على خبرات الأجداد ، وحصيلة تجاربهم المستمدة من تفاعلهم مع البيئة المادية، وتعاون بعضهم مع بعض في مؤسسات مختلفة .

وتنتقل هذه الخبرات الى الاطفال والشباب عن طريق الآباء في العائلة والافراد والاصدقاء والرفاق في المؤسسات التربوية ، والثقافية والسياسية .

ومن هنا كانت العائلة احدى المؤسسات الاجتماعية التي تصل الماضي بالحاضر وتربط الحاضر بالمستقبل . فهي بالاضافة الى انها تزود الجنس البشري بعناصره الفتية من اجل بقاء المجتمع واستمراره ، فانها تعمل على استمرار الحضارات الانسانية وتقدمها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية . وسوف تبقى هاتان الوظيفتان (استمرار الحضارات الانسانية والجنس البشري) من اهم الوظائف الاساسية للعائلة عبر التاريخ وفي مختلف المجتمعات

التنشئة الاجتماعية ومفهوم « السلطة » :

ان تلقين الأفكار والمبادىء والمعلومات الى أفراد أية مؤسسة سواء أكانت اجتماعية أو سياسية ، أو ثقافية تربوية يتأثر الى حد بعيد بمفهوم « القوة » في المؤسسة . ونعني بذلك اسس السلطة وكيفية تمركزها . فاذا كانت السلطة تعسفية وجائرة وتستمد وجودها من مركز قوة غير مشروعة ، مالت نحو استخدام العنف والقسر في فرض آرائها . والعكس صحيح أيضا . فاذا كانت السلطة في خدمة الجماهير وتستمد وجودها من مصالحهم ، مالت نحو استعمال الديمقراطية الموجهة في اتخاذ القرارات وتنسيق الأفكار . ويتم ذلك عن طريق مناقشات موجهة لتلك الآراء من خلال المؤسسات الاجتماعية والسياسية الممثلة لمصالح الجماهير .

هذا الرأي في ربط مفهوم التنشئة مع مفهوم السلطة واسسها ينطبق على معظم المؤسسات الاجتماعية بدءا من سلطة الاب في المنزل وانتهاء بسلطة الدولة في المجتمع ومرورا بسلطة المعلم في المدرسة والمدير في المصنع .

وسوف ندلل على ارتباط مفهوم التنشئة بمفهوم السلطة بدراسة اسلوب اتخاذ القرارات في المنزل ، فهو أحد المؤشرات العلمية العملية لقياس مفهوم السلطة وكيفية تمركز القوة في المؤسسة الاجتماعية .

التنشئة الاجتماعية واسلوب اتخاذ القرارات :

ان مشاركة أفراد العائلة في اتخاذ قرار معين ، وهو ما يعبر عنه عادة بأسلوب اتخاذ القرارات ، يرتبط ، على المدى البعيد ، بمفهوم المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية . وبمعنى آخر ان اشراف الانسان مرة بعد مرة في اعمال العائلة وتسيير شؤونها يؤثر الى حد كبير على سلوكه وهو رجل ، فيعمل على المشاركة في تقرير مصير امته من خلال مؤسسات اجتماعية اكثر تعقيدا من العائلة . كما ان غرس افكار تتبع من اهداف الجماهير وضمير الامة ، في نفوس الاطفال وهم صغار بطرق علمية ومدروسة، يخلق اجيالا لا تتعدى ولاءاتهم حدود العائلة الضيقة الى ولاءات اوسع ، واغنى ، ويحقق قدرا من الانسجام بين أفراد المجتمع .

فالعائلة التي تتخذ قراراتها اعتمادا على قرار رئيس معين من أحد اطراف السلطة في المنزل يمكن ان تنتج أفرادا يقبلون في اتخاذ قرارات من الاعلى دون مشاركة الجماهير بها ، أو اعطائها دورا في تحمل مسؤولياتها .

ونحن عندما نعتمد اسلوب التنشئة الاجتماعية في المنزل كمتغير مستقل ، أي متغير فاعل ، لا نغفل ابدا أهمية عوامل أخرى تشكل وتحدد اسلوب التنشئة نفسه ، وكذلك الاثر المتبادل بين كل المؤسسات الاجتماعية وتفاعلها ضمن نطاق المنظومة الاجتماعية . فالعائلة جزء من المجتمع واسلوب التنشئة يرتبط بالاطار التاريخية ، والظروف المرحلية المحددتين لتطور العائلة وتركيبها ، ووظائفها ونوع العلاقات الاجتماعية ضمنها . غير ان عزل المتغيرات المستخدمة في تعليل الظاهرة يمكن الباحث من توضيح أهميتها ، ومدى مشاركتها في تكوين الظاهرة بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق ارتباطها بعوامل تسهم في تواجد بعض خصائص الظاهرة المدروسة .

العوامل الاجتماعية المفسرة لتباين أسلوب التنشئة :

من المفهوم السابق لمعنى التنشئة الاجتماعية حددنا مؤشرات عملية لقياس ابعادها . وقد تمثلت تلك المؤشرات بتحديد الاسلوب المفضل في تربية الاطفال في المنزل، فصنفنا تلك المؤشرات بنماذج للسلوك قابلة للقياس عمليا وتمتد من استعمال (الشدة) في التربية الى اسلوب (التدليل) وما بينهما من درجات متمايزة واساليب متداخلة مثل : المجتمع ، ترك الطفل وشأنه ، الشدة مع التشجيع ، الشدة مع التدليل ، التشجيع مع التدليل ، اساليب اخرى ... ثم حولنا تلك الاسس الى أسئلة جمعت في استمارة . وبعد ذلك قمنا بدراسة لعينة عشوائية /٤٠٠/ عائلة فحصلنا على اجابات فرغناها في جداول تكرارية ، توضح مدى ارتباط اسلوب التنشئة بمتغيرات مختلفة مثل الجنس ، والحالة التعليمية ، والوضع الاجتماعي العام .

الاسلوب المفضل لتربية الاطفال عند الاب :

بينت الاحصاءات العامة التي جمعناها أن

١٠٪ من الآباء يفضلون استعمال الشدة في تربية اطفالهم ، بينما أجاب ٣١٪ من أفراد العينة المدروسة أن التشجيع هو أسلوبهم المفضل في تربية الاطفال ، و ٣ر١١٪ يميلون الى التدليل في تربية أطفالهم ، و ٥ر٦٪ يتركون أطفالهم وشأنهم ، وحوالي ١٠٪ يستخدمون الشدة والتشجيع معا . و٣٪ يستخدمون التشجيع والتدليل . و١٤٪ تقريبا يستخدمون التشجيع مع وسائل اخرى .

جدول رقم (١)

الاسلوب المفضل في تربية الاطفال عند الاب

الأسلوب المفضل	العدد	النسبة المئوية
الشدة	٦٠	١٥ ٪
التشجيع	١٢٤	٣٤ ٪
ترك الطفل وشأنه	١٦	٥ر٦ ٪
التدليل	٤٠	٣ر١١ ٪
اساليب اخرى	٣٩	٧ر٩ ٪
الشدة + تشجيع	٣٩	٧ر٩ ٪
الشدة + تدليل	٣	٨ر٠٠ ٪
تشجيع + تدليل	١٠	٥ر٢ ٪
تشجيع + اساليب اخرى	٥٤	٠ر١٣ ٪
المجموع	٤٠٠	١٠٠ ٪

بينما كانت هناك اجابات متفرقة في حدود ١٠٪ . اي ان التشجيع احتل المرتبة الاولى ثم تلته الشدة بفارق كبير وبعدها احتل التدليل المرتبة الثالثة بفارق بسيط .

الاسلوب المفضل لتربية الاطفال عند الام :

لقد اظهرت اجابات العينة المدروسة اتساقا ما بين نظرة الام والاب الى الاسلوب المفضل في تربية الاطفال فيما يتعلق باستخدام التشجيع . فقد بينت النتائج على أن حوالي ٣٣٪ من الامهات يملن الى استخدام التشجيع كأسلوب اساسي في تربية أطفالهن ، بينما اختلفت النسبة بشكل واضح فيما يتعلق باستخدام اسلوب الشدة اذ اظهرت الامهات ميلا اكثر الى اتباع اسلوب الشدة في تربية أطفالهن من الآباء، فبنيت النتائج ان حوالي ٢٣ ٪ من الامهات يفضلن استخدام اسلوب الشدة في تربية أطفالهن ..

كما أظهرت النتائج الاخرى بعض التباينات بين أسلوب الاباء والامهات في التعامل مع أطفالهم . والحقيقة ان هذه النتائج تعطي مؤشرات حول أسلوب التنشئة في المنزل ولكنها لا تفسر لماذا يجنح بعض الاباء او الامهات الى استخدام الشدة في تربية الاطفال بينما يعتبر البعض الآخر ان التشجيع هو أسلوبهم المفضل . وبصورة اخرى ان النتائج السابقة لا تعلل ، ولا توضح الظروف التي تدفع الآباء الى استخدام اسلوب معين دون اسلوب آخر . ولهذا كان علينا ان نربط ما بين مفهوم التنشئة ومتغيرات اخرى نعتقد انها تعلل وتوضح الاجابات السابقة ، ومن تلك المتغيرات نذكر الوضع التعليمي بالنسبة للأب والام ، والحالة المهنية ، والوضع الاجتماعي الطبقي . وغير ذلك من عوامل مفسرة للعلاقة الترابطية السابقة .

جدول رقم (٢)

الأسلوب المفضل في تربية الاطفال عند الأم

الأسلوب المفضل	العدد	النسبة المئوية
الشدة	٩٣	٣ر٢٣ ٪
التشجيع	١٣١	٧ر٣٢ ٪
ترك الطفل وشأنه	٢١	٣ر٥ ٪
التدليل	١٤	٥ر٣ ٪
أساليب أخرى	٤٤	١١ ٪
الشدة + تشجيع	٤٣	٧ر١٠ ٪
الشدة + تدليل	٢	٠ر٠٥ ٪
تشجيع + تدليل	٤	١ر٠ ٪
تشجيع + أساليب أخرى	٤٣	٧ر١٠ ٪
غير مبين	٢	٠ر٠٥ ٪
لا يوجد	٣	٧ ٪
المجموع	٤٠٠	١٠٠ ٪

ان ادخال تلك المتغيرات في التعليل الاجتماعي ضروري لتوضيح مدى ارتباطها مع الاسلوب المتبع في تربية الاطفال ... فعندما نصل الى علاقات ترابطية ايجابية بين متغير ومتغير آخر نستطيع أن نتحكم في سير الظاهرة الاجتماعية . وبمعنى آخر ، عندما نستطيع أن نبين الشروط الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع الآباء

والامهات الى اتباع اسلوب معين في تنشئة الطفل نتمكن من تطوير تلك الاساليب بمعالجة الظروف المسببة لها مما يوفر للمجتمع اجيالا تتمتع بشخصية اجتماعية متكاملة عمادها واساسها تربية منزلية تتفق وقيم المجتمع واهدافه المتطورة المتجددة . وتلك خاصة اساسية تستطيع أن تقوم بها العائلة لدفع عجلة التقدم الاجتماعي الى الامام . فهي بحق خلية المجتمع الاولى ومدرسة الاجيال .

وسوف نتناول فيما يلي تحليلا للعوامل الاجتماعية ، والتعليمية ، والمهنية لكل من الزوج والزوجة واثر كل ذلك في تنشئة الاطفال .

الوضع التعليمي واسلوب التنشئة في المنزل :

يعتبر التعليم من المؤشرات الاساسية الميدانية لقياس الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للفرد . وهذا يعني أن حالة الفرد المعاشية تتناسب على العموم - مع درجة تحصيله العلمي. فدخل الفرد المتعلم أعلى من دخل الفرد الجاهل اذا تساوت بقيت المتغيرات الاخرى . فدخل التاجر الذي يحمل شهادة اعدادية مثلا قد يكون أعلى من دخل استاذ في الجامعة ، ولكن عندما تتساوى المهن والحالة الاقتصادية التي ننطلق منها في التحليل تبرز اهمية عامل التحصيل العلمي في تحديد المستوى المعيشي للفرد. ولذلك يستعمل الباحثون الاجتماعيون درجة التحصيل العلمي كاحدى المؤشرات العملية لقياس المستوى الاجتماعي للفرد . وهو بالاضافة الى متغيرات الدخل - وكيفية انفاقه ، ومصدره ، والموقف من ملكية وسائل الانتاج ، والانتماء السياسي والطبقي ونوع المهنة ، يشكل اساسا لقياس الوضع الطبقي الاجتماعي. وهذه المتغيرات تحدد كثيرا معايير الفرد وسلوكه الاجتماعي ، ومن ضمن ذلك موضوع التنشئة الاجتماعية بشكل عام والاسلوب المفضل عند الآباء والامهات في تربية الاطفال بشكل اخص . وسوف نناقش فيما يلي دور الوضع التعليمي لكل من الزوج والزوجة في تحديد اسلوب تنشئة الاطفال في المنزل .

الوضع التعليمي للزوج والاسلوب المفضل في تربية الاطفال :

لقد بينت الدراسة الميدانية لواقع ٤٠٠ عائلة في مدينة دمشق أن هناك ترابطا بين درجة تعلم الزوج والاسلوب المفضل في تربية الاطفال . وهذا الترابط يتضح من الدراسة الاحصائية للجدول رقم (١) . فهو يشير الى أن ٢٥٪ من افراد العينة الاميين أجابوا بانهم يفضلون استخدام الشدة في تربية الاطفال بينما انخفضت الى اقل من ٧٪ في المستوى الجامعي .

وعند مقارنة تباين اسلوب الشدة مع ثبات عامل التحصيل العلمي ، حصلنا على نتيجة تؤكد النتيجة السابقة ، وهي تشير الى أن ١٥٪ من أفراد العينة الاميين اجابوا بانهم يفضلون استخدام أسلوب التشجيع في تربية الاطفال وهي تقل بـ ١٠٪ عن اسلوب الشدة . وبعبارة اخرى ان ربع افراد العينة تمركزت اجاباتهم نحو استعمال الشدة في تربية الاطفال كاسلوب مفضل ، بينما توزعت اجابات بقية افراد العينة على فئات أخرى لم تبلغ في أي منها نسبة أعلى من أسلوب استعمال الشدة .

وبالمقابل ، نلاحظ ان حوالي ٤٩٪ من الفئات الجامعية اظهرت ميلا نحو استخدام التشجيع كاسلوب مفضل في تربية الاطفال . بينما أقل من ٧٪ أجابوا بانهم يميلون نحو استخدام الشدة .

والدلالات العامة لبقية الزمر تتفق مع المنطق السابق للتحليل وتؤكد أن هناك ترابطا بين درجة التعليم والاسلوب المفضل في تربية الاطفال .

فكلما ازدادت درجة التعليم ، زاد ميل الاب نحو استعمال أسلوب التشجيع في تربية اطفاله. والعكس صحيح أيضا . فكلما انخفضت درجة التحصيل العلمي - زاد ميل الاب نحو استعمال الشدة في تربية أطفاله .

الوضع التعليمي للزوجة والاسلوب المفضل في تربية الاطفال :

والصورة تصبح أوضح عند دراستنا للجدول رقم (٢) الذي يوضح العلاقة بين الوضع التعليمي للزوجة ، والاسلوب المفضل لديها في تربية الاطفال . فقد دلت الاحصائيات على ان أكثر من ٢٧ ٪ من الامهات الاميات يفضلن اتباع اسلوب الشدة في التربية - بينما كانت النسبة - وفي نفس الحالة التعليمية - أقل من ١٩٪

لاسلوب التشجيع . والمقارنة تعطي ابعادا اكثر عندما يتضح لنا أن اكثر من ٧١٪ من الجامعيات يفضلن استخدام أسلوب التشجيع في تربيـــة الاطفـــال .

والجـدول بكليته يعطي تأكيدا للنتيجـة السابقة . وخاصة عندما نجمع درجات التعليم في زمرتين فقط : دون التحصيل الاعدادي ، وما بعده (ثانوي وجامعة) . فنلاحظ عندها ان ٢٠ زوجة من أصـل ٣٢ (بحـدود الثلثين) ممـن نجاوزن في تحصيلهن العلمي شهادة الاعـدادية أجبن بأنهن يفضلن أسلوب التشجيع في تربيـة الاطفال . بينما كانت النسبة في اتباع أسلـوب الشدة خمسة من أصل ٣٢ . (حوالي ١٦٪) .

وبمقارنة النسبتين السابقتين يتضح لنـا أثر التحصيل العلمي للزوجة في اتباع أسلوبين متمايزين في التنشئة الاجتماعية . ولا شك ان نوع استخدام تلك الاساليب في عملية التنشئة الاجتماعية له انعكاسات هامة في تحديد شخصية الطفل . كما انها تتأثر بمتغيرات أخرى مثـــل المهنة ، والوضع الاجتماعي ، وطريقة استجابـة الطفل للوالدين .

وهذا ما سوف نبحثه في فقرات قادمـة ، فنجيب على تساؤلات مثـــل : ما المقصود مـن استخـدام الشدة ومتى يجـب ان نلـزع الـى استخدام الشدة كأسلوب في عمليـة الضبـط الاجتماعي دون أسلوب « الحرية المطلقة » مثلا .

التنشئة الاجتماعية وأثرها في عملية الاصلاح الاجتماعي

تتباين ردود افعال المربين والآباء لسلـوك الاطفال الطائشين الذين يسلكون سلوكا لا يتسق والمعايير الاجتماعية السائـدة . ولا يحققـون في تحصيلهم العلمي ما هو متوقع منهـم : فالبعض يستخدم الضرب كوسيلة للعقاب . بينما يعمـد البعض الآخر الى التشجيع والتوجيه .

وقد وجدنا من تحليلنا لاسلوب تنشئـة الاطفال في القطر العربي السوري أن هناك ميـلا نحو استخدام الضرب في التربية . حيث أجاب ٥٧٪ من الآباء أنهم يستخدمون الضرب في تربية الاطفال ، و٤٣٪ منهم أفادوا بأنهم لا يعمدون الى ذلـك .

وبمقارنة أسلوب الآباء مع الامهات بينـت النتائج أن ميل الامهـات الى استخدام الضرب أعلى من ميل الآباء ، حيث كانت نسبة الامهـات اللواتي يستعملن الضرب في تربية الاطفال ٧٥٪ .

ومن الملاحظ أن كثيرا من الآباء والامهـات يتسرعون في اطلاق أحكامهم القاسية على أطفالهم دون دراسة وافية لاوضاعهم العامة . فقد يندفع بعض الآباء نحو استخدام الضرب في محاولة لدفع طفلهـم نحـــو تحصيل مدرسي اعلى دون ان يتبينوا أسباب كسل الطفل وتأخره المدرسي . فقد اثبت العلم أن الكسل انما له في معظم الاحيان اسبابا بدنيـة واضطرابات في أجهـزة البـدن الباطنية ، (انظر الوكالة الجديدة للصحافة ن. ا. ب) ولا يخفى على أحـد التفاعل الدائم بين الحالـة النفسية للطفـل ووضعـــه الصحي الفيزيولوجي وتحصيله المدرسي . فكل خلـل في أحـد العوامـل السابقة يؤثر وظيفيـا علـى العوامل الاخرى . فالخلل الفيزيولوجي ينعكس على نفسية الطفل ويؤثر على نموه العقلي وتكيفه الاجتماعي . كما أن ظروف التكيف نفسها لهـا انعكاسات هامة على الاوضاع النفسية والصحية الفيزيولوجية وكم من مرة تبين للآبـاء أن سبب تأخر الطفل في المدرسة يعود الى مرض مزمن في أحد الاجهزة أو قصور في احدى الحواس ، أو عن عدم فهم لقدرات الطفل الخاصة . ونحن لا يمكن أن نفصل جانب الاهمال المتعمد من قبل بعض الاطفال في انجاز اعمالهم . فهناك الارادة العارفة الواعية لمعنى الفعل فقد يلجأ الطفل الى التكاسل عن عمد هروبا من العمل . وفي هذه الحالة لا بد من مواجهته ليتحمل مسؤوليته ولو أدى ذلـك الى استعمال الشدة .

التنشئة والوعي :

والتنشئة أسلوب يرتبط بنظام المجتمـع وتاريخه وتركيب العائلة وتوزع السلطة في المجتمع ودرجة الوعي الاجتماعي العـام . وتطور تلـك الاطر يؤدي الى تغير في أسلوب التنشئة . . كما ان اتباع أسلوب معين في تنشئة الاطفـال يؤدي الى خلق علاقات اجتماعية جديـدة ضمن الاسر وقد تمتد الى المجتمع عامة .

وقد اوضحت دراستنا الميدانية الارتباط القوي بين أسلوب تنشئة الاطفال ودرجة تعلـم

المربين ، وخاصة مستوى ودرجة تعلم الام . والتعلم ، كما هو معلوم ، يشكل احد عناصر الوعي . وازدياد نسبته بين أفراد المجتمع يشير في احد جوانبه ، الى ازدياد وعي الافراد . فكان الاختلاف بين اسلوب استعمال الضرب أو الامتناع عنه في بعض فئات درجات التعلم بحدود ٦٠٪ وهذا ، كما رأينا ، مؤشر هام نحو منحى أسلوب التربية لدى الامهات في المجتمع اذا ما علمنا أن اتجاههن هو نحو التعليم .

متى يجب ان نستعمل الشدة :

ولكن هل من الحكمة اذن أن نترك الاطفال وشانهم دون عقاب حتى وان امعنوا في الخطأ . طبعا ، لا .. فالطفل الذي يرتكب الفعل عن عمد وبعيد تكراره بعد أن نبه اليه يستحق العقاب كوسيلة تربوية في الاصلاح . فالطفل عندما يتوقع عقابا لعمل ولا يتحقق له ذلك يعاود الفعل مرات ومرات . وتختلط عليه الامور ويصبح الفعل جزءا من سلوكه العام .

ونحن نلح على نقطة أساسية يجب ان لا نضيع في غمرة تساؤلات ثانوية الا وهي ان العقاب كرد فعل لا يحقق غاية مرجوة . وعقاب الطفل بمجرد ارتكابه لفعل الخطأ ، يمنع الطفل من التمييز بين المسائل الهامة والمسائل الثانوية .

فالعقاب الاجتماعي لمخالفة معايير اساسية في حياة الجماهير يجب ان يتميز عن مخالفة بسيطة عفوية لبعض العادات الاجتماعية . وهذا هو منطق القانون الجنائي ومضمونه الاجتماعي.

ومعظم الافراد في مجتمعنا ينحون هذا الاتجاه . فقد دلت دراستنا الميدانية أن حوالي ١٢٪ من الامهات يعمدن الى ضرب أطفالهن بمجرد وقوعهم في الخطأ ، و٣٩٪ أجبن بأنهن يضربن أطفالهن عند تكرارهم لفعل الخطأ ، بينما ارتفعت النسبة الى ٤٩٪ للامهات اللواتي يعمدن الى اسلوب الضرب في الحالات الاضطرارية فقط (انظر الجدول رقم ١) .

١٠ المراد من الشدة :

والمراد من الشدة أصلا هو الاصلاح والتربية ، ولذلك يجب أن يصاحب اسلوب الضرب توجيها مناسبا يتفق ومرحلة تطور ونمو الطفل العقلي والاجتماعي فلكل مرحلة نمو توقعات اجتماعية معينة يجب ان تتطور مع تطور

جدول يبين الوضع التعليمي للزوجة ومتى تضرب الام اطفالها

الوضع التعليمي للزوجة / متى تضرب الام اطفالها	المجموع	١ – امي	٢ – تقرأ وتكتب	٣ – اعدادي	٤ – ثانوية	٥ – جامعية	٦ – شهادات اخرى	غير مبين
المجموع	٤٠٠	١٤٣	١٨٠	٤٥	١٦	٧	٩	—
١ بمجرد وقوعهم في الخطأ	٣٩	٢٧	٨	٢	٢	—	—	
٢ بعد تكرار الخطأ عدة مرات	١١٦	٤٤	٤٩	١١	٩	١	٢	
٣ في الحالات الاضطرارية فقط	١٤١	٣٦	٧٤	٢٣	—	٤	٤	
غير مبين	١	١	—	—	—	—	—	
– لا يستخدمون الضرب	١٠٣	٣٥	٤٩	٩٩	٥	٢	٣	

ونمو الاطفال ، وغالبا ما ينظر البعض بحدود ضيقة الى تلك المراحل ، فيبقى الراشد طفلا في نظرهم حتى وان كان قد تجاوز تلك المرحلة اجتماعيا وعقليا ونفسيا .

وبعض الاقاويل المتداولة توضح تلك النقطة وتشير الى ان نظرة بعض الآباء لاطفالهم ترتبط دوما بمرحلة الطفولة ولا تتعداها ابدا ، فالانسان بنظرهم طفل وان خلف اجيالا . وهذا ما يجعل بعض الآباء عاجزين في كثير من الاحيان عن مسايرة ركب تطور الجيل الناشيء فيتخلفون عنه ويتركهم وراءه . فيعيش الآباء والابناء في حالة غربة تمنع تفاعل خبرات الاجيال السابقة مع معطيات الحياة الجديدة في مؤسسة من اهم المؤسسات الاجتماعية اثرا في حياة الطفل ، وفي موضوع من أكثر المواضيع ارتباطا بسلوك الانسان وشخصيته :

ميلاد جيل جديد

قد يكون من الصعب على بعض الباحثين تحديد النتائج العملية المترتبة على اتباع اسلوب معين في التنشئة الاجتماعية دون اسلوب آخر في خلق جيل جديد . غير ان ذلك لن يكون عسيرا على أي باحث يراقب تطور المجتمعات الانسانية ويقارن بين اساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة فيها ومرحلة تطورها التاريخي .

وقد اسفرت الدراسات الاجتماعية عن نتائج هامة في مجال التنشئة ، وكلها اوضحت ان نقطة البداية في بناء جيل المستقبل يجب ان تبدأ من الطفل وتتطور وتتقدم مع تطوره وتقدمه في مراحل نموه المختلفة. ولهذا فقد اهتمت الدول المتقدمة اقتصاديا، على اختلاف نظمها الاجتماعية والسياسية ، بموضوع تنشئة الاطفال، واتجهت نحوهم اتجاها مباشرا ، فوفرت لهم كل الامكانات لتفجير طاقاتهم . انهم بحق رجال الغد وبناة المجتمع الجديد .

وهذا الاتجاه نحو تنشئة الاطفال ان كان له في استمرار عملية التقدم الاقتصادي ما يسوغه في تلك الدول ، فله مسوغات اخرى وهامة في الدول النامية والتي تأخذ في طريق التحولات الاجتماعية .

واهم تلك المسوغات تكمن في محاولة تخطي مراحل تاريخية سبقتها اليها كثير من الدول ، وبناء مراحل جديدة ... ان المجتمعات النامية عليها أن تعمل بجهدين : جهد لتعويض تخلف قرون عديدة ، وجهد لمسايرة التقدم الاقتصادي والاجتماعي لمجتمعات القرن العشرين .

ولعل هذا القول يأخذ ابعاده الكاملة اذا ما وضع في تصور بعض الباحثين لمستقبل الانسانية في أواخر القرن العشرين حيث اوضحوا ان الفارق بين حاضر الدول المتقدمة صناعيا في أواسط القرن ومستقبلها في اواخره ، يشابه ، الى حد بعيد ، الفارق بين حاضر تلك الدول وماضيها في مرحلة عصر البخار .

ومن هنا فان أي توظيف لطاقات الدول النامية في فئات الاطفال له ما يبرره في تخطي التخلف وتجاوزه اولا ومسايرة روح العصر ثانيا. وأهم توظيف ، واقله كلفة ، يكمن في اسلوب التنشئة الاجتماعية وتربية الاطفال على مفاهيم مستمدة من واقع الامة ومصير الشعب ، وتطلع الجماهير . ولهذا فلعلنا لا نغالي اذا قلنا ان من اولى المهمات التي تواجه المجتمعات الانسانية بشكل عام ، والدول النامية بشكل اخص ، موضوع تنشئة الاطفال وتربيتهم. تربية صحيحة تتفق ومرحلة التطور التي تتطلع اليها .

وحيث ان موضوع التنشئة الاجتماعية اضحى علما قائما بذاته ، يشرف عليه ويمارسه اخصائيون اجتماعيون ونفسيون ، برزت اهمية مؤسسات تربوية بالاضافة الى العائلة في مضمار تنشئة الطفل . فاصبحت المدرسة ، مثلا ، مؤسسة اجتماعية تتدخل بشكل مباشر وفعال في عملية تكيف الطفل مع عالمه الخارجي . ومما لا شك فيه ان المدرسة سوف تأخذ مجالا اوسع في تحمل مسؤولية تربية الاطفال . مما يمكن العائلة من اشباع الحاجات النفسية والعاطفية للطفل . والمدرسة بكل مستوياتها من الحضانة حتى الجامعة ، ما هي الا مؤسسة اجتماعية غرضها الاساسي تربية الانسان علميا وعمليا واجتماعيا واخلاقيا وسياسيا . انها بحق مصنع الاجيال .

وتبرز اهمية المؤسسات التعليمية والرسمية في عملية التنشئة مع تزايد دخول

المراة ميدان العمل وانخراطها في امور المجتمع ، الامر الذي يحتم عليها البقاء خارج منزلها لفترة طويلة . فاذا اصبح عمل المراة مسالة مقبولة من قطاعات كثيرة في المجتمع فانه يجب ان يرافقه اهتمام بموضوع تربية الطفل وتنشئته علميا وعمليا ، في المنزل والمجتمع على حد سواء .

الضرب كوسيلة في تربيـة الاطفال :

تتباين ردود افعال المربين والاباء لسلوك الاطفال . فبعضهم يعمد الى ضرب الطفل كوسيلة للعقاب والبعض الآخر يكف عن ذلك .

وقد وجدنا من دراستنا الميدانية لواقع مجتمع مدينة دمشق بفئاته الاجتماعية المختلفة ان حوالي ٥٧٪ من الاباء يستعملون الضرب في تربية الاطفال و ٤٣٪ منهم لا يعمدون الى ذلك وبمقارنة أسلوب الاباء مع الامهات بينت النتائج ان ميل الامهات الى استخدام الضرب اعلى من الاباء . حيث كانت نسبة الامهات اللواتي يستعملن الضرب في تربية الاطفال ٧٥٪ .

وقد شملت عينة البحث قطاعات مختلفة من المجتمع فمثلت مهنة التجارة ٢٩ ٪ ، والموظفين ٣٤٪ . والعمال ١٥٪ ، وفئات اخرى اجتماعية ١٢٪ . وقد اوضحت النتائج تمايزا بين نوع مهنة الاب والاسلوب المفضل في تربية الاطفال (انظر الجدول رقم ١) .

جـدول رقـم (١)

يبين الاسلـوب المفضـل في تربيـة الاطفـال

عند الاب مع نوع عمل الزوج

الاسلوب المفضل في تربية الاطفال عند الاب / نوع عمل الزوج	المجموع	١ – الشدة	٢ – التشجيع	٣ – ترك الطفل وشانه	٤ – التدليل	٥ – أساليب أخرى	٦ – الشدة + التشجيع	٧ – الشدة + تدليل	٨ – التشجيع + تدليل	تشجيع + أساليب أخرى	غير مبين
المجموع	٤٠٠	٦٠	١٢٤	٢٦	٤٥	٣٩	٣٩	٣	١٠	٥٤	—
١ تجارة	١١٧	١٧	٣٦	٧	٢٢	١٦	٧	١	٢	٩	—
٢ موظف	١٣٥	٢٠	٥١	٤	١٢	٧	١٦	١	٣	٢١	—
٣ عامل	٦٣	١٠	١٥	٤	٥	٩	١١	—	١	٨	—
٤ مزارع	١	١	—	—	—	—	—	—	—	—	—
٥ أعمال أخرى	٥٠	٩	١٥	٥	٥	٣	٣	—	١	٩	—
غير مبين	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
لا يوجد	٣٤	٣	٧	٦	١	٢	٢	١	٣	٧	—

وهذا الترابط وان كان لا يتلازم في كل الحدود . الا انه يعطي مؤشرا للدلالات السابقة التي انتهينا اليها في تحليلنا السابق للعلاقة بين درجة التعلم وأسلوب التنشئة الاجتماعية .

وقد اتضحت العلاقة بصورة اكثر عند ادخالنا لمتغير درجة تعلم الام وملاحظة مدى ارتباطه بمتغير استعمال الضرب أو عدمه في عملية التربية . والاختلاف بين الاسلوبين في بعض فئات درجة التعلم كان بحدود ٦٠ / (انظر الجدول رقم ٢) .

وهذا مؤشر هام نحو منحى أسلوب التربية لدى الامهات اذا ما علمنا أن اتجاههن هو نحو التعليم . أي نحو خلق جيل جديد .

فمن المعلوم ان طريقة القسر المتبعة في تربية بعض الاطفال لا يعطي مردودا ايجابيا في كل الاحوال . بل على العكس من ذلك . فان الاب **الذي ينهر ابنه لاي شيء ودون مبرر كاف للعقاب يسيء الى ابنه ونفسه والى المجتمع.** وان العلاقة بين الوالدين والابناء يجب ان تبنى على عقلية يحكمها المنطق . وتغذيها العاطفة .وبعيدة عن **الاستثارات والانفعالات العصبية** . وهذا ما يشير اليه تطور أسلوب التربية . اننا قد نكون على أبواب خلق جيل جديد .

جـدول رقـم (٢)

الوضع التعليمي للزوجة وفيما اذا كانت تستعمل

الضرب في تربية اطفالهـا ام لا

الوضع التعليمي للزوجة / هل تستعمل الأم الضرب في تربية أطفالها	المجموع	١ - امي	٢ - تقرأ وتكتب	٣ - اعدادية	٤ - ثانوية	٥ - جامعية	٦ - شهادات اخرى	غير مبين
المجموع	٤٠٠	١٤٣	١٨٠	٤٠	١٦	٧	٩	-
١ (نعم)	٢٩٦	١٠٧	١٣١	٣٦	١١	٥	٦	—
٢ (لا)	١٠٠	٣٥	٤٦	٩	٥	٢	٣	—
غير مبين	٤	—	—	—	—	—	—	—
لا يوجد	—	١	—٣	—	—	—	—	—